



محمد زكريا

## مبهر التراث

### أحمد الحامد .. فنان الكاريكاتير الصادق

#### جسد حياة الناس

أحمد الحامد فنان كاريكاتيري ، غرس ريشته الإناسية بحياة المجتمع اليمني الأصيل، فاستطاع أن يجسد حياة الناس البسطاء خبير تحسيدا تقسم أعمال الفنان أحمد الحامد الكاريكاتيرية بتسليط الأضواء على الحشائش الضارة التي تنمو وتتسلق مجتمعتنا .

#### أسلوب ساخر لا ذع

والحقيقة أن الفنان أحمد الحامد تقسم رسوماته الكاريكاتيرية بشفة الظل الذي يجعل من يطالع عليها ترتسم على وجوهه ابتسامة عريضة .

وهذا في رأينا من صميم العمل الكاريكاتيري الناجح الذي يغلف مشكلة ( ما ) بأسلوب ساخر لا ذع . ولقد برع فيه فناننا أحمد الحامد بصورة تدعو إلى الإعجاب .

#### أفكار تجمية

وفي الحقيقة أن من يتتبع أعمال الفنان أحمد الحامد الكاريكاتيرية سيلاحظ نظيره أن أعماله تحمل أفكارا ، وآراء قيمة أو بمعنى أوسع تحمل شعارا اجتماعيا يهدف في الأساس لفت الرأي العام أو تحريك قضية اجتماعية معينة تشوبها سلبيات خطيرة على مجتمعتنا . فعلى سبيل المثال قضية بعض المسؤولين الذين يظنون أنفسهم أنهم فوق القانون . والبعض الآخر ترسخ في ذهنه وفي نفسه أن المسئولية معنم أو أنها ملكية خاصة في الإمكان التصرف بها كيفما يشاء . أو الموظف المسؤول الذي يأتي إلى العمل من أجل أن يكمل نومه في مكتبه ويترك أعمال الناس إلى إشعار آخر . ومن القضايا الهامة والخظيرة التي التقطتها ريشته الذكية وهي قضية أو مسألة القات التي مارألت تجتم على صدور الكثير من الأسر خصوصا الأسرة المتوسطة الحال . وعلى الرغم أن العديد من فناني الكاريكاتير ، قد تطرقوا إليها وأبدعوا فيها إلا أن فناننا أحمد الحامد استطاع بهارة عالية أن ينقد تلك الظاهرة نقدا لا ذعا وبصورة ساخرة . وتناول أيضا فناننا أحمد الحامد في رسوماته الكاريكاتيرية ظاهرة اجتماعية وهي ظاهرة ( أم الزوجة ) والتي تناولها الداني القريب والقاضي البعيد من فناني الكاريكاتير في داخل اليمن أو في خارجة . وبالرغم ذلك فإن خطوط رسوماته في ذلك

علي عبدالله صالح  
 رئيس الجمهورية

## تراث

اشراف/ محمد زكريا

الموهبة . وفناننا الكاريكاتيري المبدع أحمد الحامد هو واحد من الموهوبين الذي استطاع أن يجعلنا نتفاعل معه بكل جوراحنا ووجدنا والمفت للنظر أن جل أعماله الكاريكاتيرية لا تحتاج إلى التعليق عليها اي أنها (( دون تعليق )) وهذا في حد ذاته يدل على مقدرة فائقة في توصيل الفكرة مباشرة وهذا العمل من الكاريكاتير بنفذ مباشرة إلى القلب . وبلغت نظريا أيضا أن خطوط رسوماته بسيطة وسهلة وهو من النوع السهل المتفتح وهو من اصعب انواع فن الكتابة الأدبية وهو كذلك ينطبق على فن الكاريكاتير .

#### جمعية الكاريكاتير اليمنية

وعلى أية حال ، نرجو له الاستمرار في العطاء والتألق في ميدان الكاريكاتير الذي يعد من أقوى ، وأشد الأسلحة الفتاكة في بظنون أنهم فوق القانون وفوق المجتمع. والشئ بالشئ يذكر ، نامل من فناني الكاريكاتير في بلدنا على تأسيس جمعية الكاريكاتير اليمنية تكون من ضمن مهامها العمل على احتضان المواهب الناشئة في فن الكاريكاتير وبذلك توسع دائرة فن الكاريكاتير في بلدنا من ناحية وعلى الجهات المختصة بالثقافة والفنون والإبداع تدعم فناني الكاريكاتير اليمنيين بكل الإمكانيات المادية والمعنوية منها على سبيل المثال إحضار عدد من كبار فناني الكاريكاتير في الوطن العربي للاستفادة من تجاربهم العميقة في هذا الفن الحي الرائع الذي يجسد نبض المواطن .

الموضوع يثير فينا الضحك وكاننا لأول مرة نشاهد من ينقد أم الزوجة .

#### مفهمة بالهوية

والحقيقة أن صفات فناننا المبدع أحمد الحامد تتسم بالهوء ، ووجه بشي بالطيبة، وقليل الكلام ، ويفكر بعمق أو قل إن شئت يسبح في آجواء قضايا المجتمع ومشاكله المختلفة . وعندما تتأمل بعمق خطوط رسوماته الكاريكاتيرية فإنها مفعمة بالحياة والحيوية والنشاط تكاد أبطال شخصيته تظل من الكاريكاتير ، فتراها رأي العين ، وترامى إلى مسامع أصواتها ، وتشعر بسخونة أنفاسها .

#### الفن للمجتمع

ولسنا نبالغ إذا قلنا أن أحمد الحامد فناننا الكاريكاتيري ليس من اصحاب مدرسة الفن للفن ولكنه من مدرسة الفن للمجتمع أو بعبارة أدق فن الكاريكاتير في خدمة الناس البسطاء الذين يحلمون بطموحات مشروعة . فالكاريكاتير عند أحمد الحامد هو مرآة صافية صادقة تعكس بدقة متناهية مجتمعنا اليمني بمختلف بيئاته الاجتماعية . حقيقة نطلع على بعض أعمال فناني الكاريكاتير ولكن لا نشعر بحرارة فن ، أو بمعنى أوسع أن خطوطها باردة . وجامدة ولا تحرك فينا ساكتا . ولكن بخلاف بعض فناني الكاريكاتير عندما تطلع عليها تحرك مشاعرنا ، وتدغدغ أحاسيسنا والسبب في ذلك هي



# الصينيون يطرقون أبواب عدن

بيد من حديد الخارجين عن الدولة - كما قلنا سابقا - . وفي هذا يقول القاضي المؤرخ إسماعيل الكوع : "تولى الناصر أحمد الكوع بعد من والده فواصل مسيرة أبيه في أخذ العبايين والمفسدين ، والخارجين عن الطاعة بالحزم والشدة ، ولهذا فإنه ما كاد إلا أن يفتحن في مسرح الحياة حتى انتعشت أمال المفسدين المعصيان من جديد . - ولكنه - كما من بنا سابقا - تمكن من القضاء على حركات التمرد ، والثورات ، وعاشت اليمن في طمأنينة بالاستقرار المادية والمعنوية منها على إثرها كبريا في الحياة الاقتصادية - فعندما وصلت البعثة الصينية إلى عدن . كان مينائها يروج بالحركة والنشاط الكبيرين إن فقد كان الميناء ملقى تجارات العالم حينذاك . وهذا ما شاهدته عندما اشترت البعثة الصينية العديد من البضائع الثمينة ، والحيوانات النادرة الجلوية من البعثة شرق أفريقيا . ومن المختل أن البعثة الصينية التي زارت عدن مرتين ، الأولى في سنة ( ١٤١٧ هـ / ١٤٢٧ م ) والمرة الثانية سنة ( ٨٢٤ هـ / ١٤٢٧ م ) - فقد نقلت انطبعا جيدا عن ملك اليمن الناصر ، وعن نشاط التجارة في ميناء عدن ، ورزاهل الحياة الاقتصادية التي هي ملكة الناصر اليمن ، وأيضا قوة الدولة الرسولية العسكرية .

في قلوب من توجهه إليهم ، أو أن يساء فهم مذهبها على أقل تقدير . - ويضيف قائلا : " بل إن أحد المؤرخين الدول المعاصرة قد ألقاها هذا الترحون النزيل ، فقد قام الأسطول - فضلا - بتربط محدود في بعض الشؤون الداخلية لبعضها ، واستعراض للعصلات في مقدسه والأنعام ( من أعمال الشجر ) أحد المرافقين للأسطول الصيني والذي اتجه صوب عدن وهو ( ما - هوان ) وصف بصورة مستفيضة و دقيقة طبائع أهل عدن ، وتبعز ، وأسواقها ، وعادات وتقاليد أهل الناصر في المناسبات الدينية كصلاة الجمعة في عاصمة ملكه تعز والراسم الخاصة ببلاده وتتطرق إلى الفترة العسكرية للدولة الرسولية ، وكيف أن جيرانها كانوا يخشون بأسها ؟ ، وصف ذلك ملابس العامة ، وملابس النساء ، وكيف اشتهرت تلك البلاد بصناعة ( ما - من الذهب والفضة - فيصنعها ( ما - هوان ) - كالتالي - وهي بلاد غنية وسكانها كثيرين ، ويدين ملكها وسائر أهلها بالإسلام ، بتكلمن اللغة العربية . ( نظفان ) - وقد مشقوه ، ويذكر عبد الله محبوز أن الأسطول الصيني الراجز لا يساعدا ، قد استعملت أسلحة قديمة ولكن لم يوضع الأسباب التي دفعتمهم إلى استعمالها . وربما ترحب أهل مدينة الاسماء المطة على البحر العربي خيفة من الغاية التي جاء من أجلها السفينون ، فقلنا أنهم قدموا للاستيلاء على مدينتهم الأسطول الذي كان يحمل على متنه جنودا وبحارة ، وعددا من الأسلحة الفتاكة الغروقة حينذاك . ويصف خط سير الرحلة الخاصة بالأسطول الصيني الذي يقود ، وقد بدأت عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٧ م ، وعادت عام ٨٢٣ هـ / ١٤١٩ م ، وقد انفصل عن ذلك الرحلة أيضا جزء من الأسطول دار حول الساحل الجنوبي لجزيرة الشامي والساحل الغربي للجزيرة العربية ( ما - من الجن ) .

وعن ذكر الملك الناصر الرسولي ، وعاداته الدينية يصفها ( ما - هوان ) قائلا : " ولباس ملك هذه البلاد طابقي من الذهب ، وعباءة صفراء على جسمه ، يتخلط بحزام مرسوم بالجوهر ، وعندما تلى الصلاة يرفع يده إلى المسجدا ، ويضع على رأسه عمامة من الفاش الأبيض الأجنبي ( صنع ) ، ويلبس على من قماش مبيض بالذهب ، ويلبس على جسمه عباة مفضة ، ويتجه إلى المسجد على محة في مركب من الجن .

ويصف ( ما - هوان ) النساء التي يرتديها ، والحلي التي كُن يرتديهن ، وأذنين ، ومعاصمهن ، فيقول : " وليس عباة أطول على إصبعهن ، ويوشاحان على إكتافهن مطعم باللؤلؤ والجواهر ... وتحتل أذنين أحراط من الذهب المطعمة بالجواهر ، ومعاصمهن أسود من الذهب والأحجار الكريمة ، وأسورة ذهبية في أصابع أقدامهن ، ويخطفن الذهب بمعدل طن من الحرير ، ويغني لوجه سافرا .

والحقيقة يصعب علينا أن نفرق بين أسواق عدن أو أسواق حضرة اليمن وعاصمة الدولة الرسولية تعز فهو يصفها بصورة عامة ، ويوجد تعز أسواق ، ومحطات عامة - وعروض للبيع في ساحل اليمن بعدة عوز مدينتي لها : من الوحيش كالمها ، وحمر الوحيش ، والأسود كالمفة ، والفهود المؤدية ، وكافة أنواع البضائع وربما ينطق وصف تلك الأسواق على عدن ، وتعز ، ولكن يعد من المحذور يؤكد أن عدن كانت مشهورة بالمنتجات العامة . وهذا ما لفت نظر الكثير من الرحالة الذين زاروها .

ويصف ( ما - هوان ) الوجبات التي يتناولها الناس هناك ، فيقول : " أما شراب أهلها ، وطعامهم فيتحتوي على دقيق الأرز ، والبر ، ومعظمه يأكل مزيجا من اللبن ، والقشدة ، والزبدة ، والسكر ، والمعسل .

سرمان ما يتنصر رأي أنصار الانفتاح و أن تمد الصين نظرها إلى بلدان العالم الآخر. وهذا ما أكدت المصادر الصينية بأن فترة الانفتاح كانت فترة غير طويلة .

#### بعثة تجارية صينية

وفي خير أن الإمبراطور الصيني في القرن العاشر الميلادي أمر بتجهيز بعثة تجارية هدفها تشجيع وترغيب التجار الأجانب إلى السفر إلى بلاده . . . . . وقد زود أعضاء تلك البعثة بأوراق الاعتماد الإسبانية والفرنسية ، وضمت هذه الأموال سبائك ذهبية وبضائع عالية القيمة الحقيقية ( ما - الختق ) وهي تستعمل للرحيل إلى وسطها الصين . وأما المؤرخ عبد الله محبوز يزيد في توضيح الأسباب التي دفعت للإمبراطور الثالث من أسرة منج ( بينج - لو ) الذي تشجع التجار الصينيين الكبار في المحيط الهندي للرحلات منها : اقتصادية كإيجاد أسواق ، وطرق تجارية بعد إغلاق طرق التجارة التقليدية عبر أواسط آسيا نتيجة حروب تيولونك ( وهو طريق الحرير ) ، وروميا كتحقيق كساحلة الجزيرتين سابقا هارب أو مستخفي في مكان ما في هذا المحيط الرحير ، وسياسية للسيطرة على الشعوب ( البربرية ) وأنظمة اللباد المركزية ( الصين : أو فرض نظام الحرية عليهم أسوة بما هو متبع في الصين نفسها ( الزرد )

#### أفاق واسعة

وفي الحقيقة أن تلك المعلومات سأقها الأستاذ فهمي مويدي فبحث أفاق واسعة في مجال العلاقة بين بلاد العرب ومملكة الأوس العرب والصين أو بعبارة أخرى أنه كشف جوانب أخرى غير الجسالات التجارية بين بلاد العرب والصين وهو أنه كان هناك تبادل ثقافي أو جسور ثقافية وحضارية عميقة بينهما . استقا وأفاد كل واحد من الأرض على ما تقدم . فإن رادستا حول زيارة الأسطول الصيني لعدن يجب ألا تقتصر على الجانب الصيني فخصب بل يجب دراسة الجانب الثقافي الصيني وأوضاعه ونظرا أن الأسطول الصيني مكث قرابة شهر في عدن وهي فترة قصيرة جدا حتى تظهر فيها أثر التبادل الثقافي بينهما ، وبالرغم من ذلك فإن الثقافي الصينية تتخطت الحداث والمقاييد ، والمراسم الخاصة ببلالاد الملكي الصيني في عهد الملك الناصر الرسولي بصورة بالتصميم إلى الإعجاب . وسوف نذكر ذلك بالتفصيل بعد قليل .

#### ما أسباب إبحار الصينيين ؟

والسؤال المطروح هو ما هي الأسباب المباشرة وراء إبحار الصينيين إلى المحيط الهندي والبحر العربي ، والخليج العربي ؟ ولقد أجاب على ذلك السؤال أحد الباحثين بأن اكتشاف الصينيين لليومس شجيرة على ركوب المظنر ، والإبحار مباشرة في عرض البحر دلا من محاذاة الساحل . ومن العوالم الأخرى التي طرحها الباحثون حول أسباب إبحار الحركة التجارية في الصين وتوسيع رقعتها إلى البلدان البعيدة عنها أو بالعبس عند تدلل الحركة التجارية في الصين يعود في الأساس إلى الأباطرة الصينيين دون الاستناد إلى قرار اقتصادي في اتخاذ هذا القرار أو ذلك . فالقضية الاقتصادية تدعو إلى تفكير وروية الإمبراطور فيسه ومدى قدرة تأثير الموظفين الحكوميين المرتبطين بالشؤون التجارية والاقتصادية على إقناع الإمبراطور بتدعيم التجارة البحرية والإبحار نحو بلدان المحيط الهندي ، والبحر العربي ، والخليج العربي أو العزلة عن بلدان العالم الآخر ، والتفوق في داخل الصين . ولكن

في فجر يوم من أيام سنة ( ٨٢٠ - ٨٢٢ هـ / ١٤١٧ - ١٤١٩ م ) استيقظت مدينة عدن من سباتها على أسطول ضخم ملاً الأفاق ، وغطى مياه بحرها . وكان ذلك الأسطول العملاق الذي بث الرعب والخوف الكبيرين في نفوس أبناء عدن الذين لم يشاهدوا مثله في الضخامة والعدد الكبير عبر تاريخ مينائهم الطويل أسطول الإمبراطور الصيني ( ابن السماء ) القادم من أقصى المعمورة في الأرض من مملكة الأوس العرب ( الصين . والحقيقة أن المصادر الصينية القديمة قد حفظت لنا وقائع تلك الزيارة الصينية لميناء عدن بصورة تفصيلية ودقيقة .

#### محمد زكريا

سفنينة خشبية في قاع خليج تسي تون في الصين في سنة ١٣٧٤ م ، وهي ... بحالة جيدة ، ويرجع تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، وبدا واضحا لأول وهلة أنها سفينة تجارية من أواخر القرنين الثاني عشر والثالث عشر . . . . . وعثر في مقصورتها على بقايا خشب الصنل المعطر وعقاقير طبية ولبان وفلفل . ودرع سلحفاة المظبورة من السفينة على لوحة خشبية كتب عليها اسم ( لي ) ربما كان اسم صاحب السفينة . في أحد التجار العرب الكبار . ويض فهمي مويدي في حديثه : يقول سنوات عديدة أيضا عثر في أطلال مدينة الفسفاط جنوب القاهرة ، على الأوف من أواني الفخيشاني الصينية . وثبت من الفخوشون أنها من منتجات محافظة بويباو بمقاطعة تشنجيانغ في أسرة سونغ . ونقلت إلى مصر على يد التجار العرب . عبر الشام .

#### الخليج العربي والصينيون

وفي نفس المسلك اكد الدكتور شوقي عبد القوي ، ( ان العلاقة بين بلاد العرب والصينيين تعود إلى ما بعد ظهور الإسلام على فترة ليست بطويلة ، وأنه لا يوافق على ما زعم بعض المؤرخين الغربيين أن العلاقة بينهما كانت غير معروفة حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي . فقد ذهب هورت إلى القول بأن عدن المطة على البحر العربي ، وسيراف المطة على الخليج العربي لم تكونا معروفتين حتى الصينيين حتى القرن الثاني عشر . ويعتقد شوقي عبد القوي على ذلك الرأي ، فيقول : - . . . . . ومعنى ذلك أن العلاقة الصينية لم تكن حتى ذلك الوقت قد وصلت إلى السواحل العربية . - . . . . . وحدث عددا من البهران والدلائل التي تدل على أن العلاقة التجارية العربية الصينية كانت قبل ذلك التاريخ بفترة طويلة ( في إشارة إليه عنه - فهو ينقل عن السيرافي الختقوي ( ٣٢٩ هـ / ٩٥٠ م ) ، كالتالي : أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف ، وأن السلع تحصل على سيراف من البصرة . كما كتروا السفن أيضا السفن الصينية ، وبالعز من ذلك فإن الثقافي الصينية تتخطت الحداث والمقاييد ، والمراسم الخاصة ببلالاد الملكي الصيني في عهد الملك الناصر الرسولي بصورة بالتصميم إلى الإعجاب . وسوف نذكر ذلك بالتفصيل بعد قليل .

#### في عهد الخليفة عثمان بن عفان

وفي الحقيقة أن المصادر التاريخية الإسلامية ، والمصادر الصينية القديمة ، والشواهد والدلائل المادية واللغوية قد أكدت أنه كانت هناك علاقة تجارية وديبلوماسية بينهما موعنة في القدم . وقد روت كتب التاريخ أن العلاقة العربية الصينية تعود في عهد الخليفة الإمبراطور قاوشنغ عام ٦٥١ ميلادية ( ٣٠ - ٣١ هجرية ) . وأن العلاقة الديبلوماسية بين بلاد العرب والصينيين استمرت وتواصلت وذلك في عهد الخليفة الأموي عبدالعزيم والقائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي في أبواب الصين . وفي عهد الخليفة العباسي في فترة حكم الخليفة أبي جعفر المنصور .

#### شهادة من سفينة غارقة

ويفيد الفكر الإسلامي في فهمي مويدي في كتابه ( الإسلام في الصين ) بأن أول اتصال تجاري عربي صيني كان عبر القاسم - الذي ألق من عمان إلى كانتون حوالي عام ١٣٣٣ هـ / ٧٥٠ م ) لشراء الصبار والخشب . . . . . وهو الرجل الذي يقول عنه العنابيون إنه أول من لفظ عليه وصف ( السندي باد ) . ومن الدلائل والقرائن الدالة التي تؤكد هذه العلاقة بين بلاد العرب والصينيين هو العثور على

#### جسور حضارية

وفي واقع الأمر ، أن التجار كانوا الوسايل بين البضائع والسلع الصينية وسلع بلاد العرب وغيرها كشرق أفريقيا . وكان هؤلاء التجار إلى جانب أنهم كانوا وسطاء بين العرب والصين في مجال التجارة . كانوا يظنون جسورا حضارية بين العرب والصين . . . . . في هذا يقول الأستاذ فهمي مويدي " ... لم ينقل العرب